مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 01، مارس 2024، صص: 433 - 448

تاريخ الاستلام(2023/01/01)تاريخ القبول (2023/12/31)تاريخ النشر (2024/03/30)

ملامح المقاومة في أدب زليخة السّعودي: قراءة في قصّتي: النّهاية واليوم الأخير

The Resistance Features in Zulikha Al-Saudi's Literature: A Reading of Two Stories, viz.,The End and The Last Day

زليخة ياحي[1]. فاطمة الزهراء شول[2]

[1] جامعة الجزائر 02 (الجزائر)، Zoulikha.yahi@univ-alger2.dz

[2] المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط (الجزائر)،fatimazouhra@ens-lagh.dz

ملخص:

عانى الجزائريّون من ويلات الاستعمار الفرنسي كغيره من البلدان، واستطاع أن يتخلّص منه عن طريق الكفاح والمقاومة الّتي اعتبرت صرخة مدويّة في وجه الاحتلال وعملت على استنهاض الهمم لتحقيق الحريّة والاستقلال، وأدب المقاومة كان راصدا لكلّ مجريات ما يحصل، ولعلّ قلم الأديبة زليخة السّعودي من الأقلام الّتي دعت إلى الثّورة والنّضال، والوحدة والاعتراف بفضل المجاهدين، والشّهداء، والتّفاؤل بالحريّة، وتحدّي الاستعمار، هذه النّقاط الّتي تعتبر من أهمّ ملامح المقاومة في أدب زليخة السّعودي، والّتي تظهر لنا أهميّة موضوع أدب المقاومة، والّذي تسعى هذه الدّراسة إلى الوقوف عنده من خلال قصّتين هما: قصّة النّهاية، وقصّة اليوم الأخير.

كلمات مفتاحية: أدب المقاومة؛ القصّة الجزائريّة؛ وسائل المقاومة؛ زليخة السّعودي؛ النّهاية؛ اليوم الأخير.

Summary:

The Algerians, like other countries, suffered from the woes of French colonialism, but they were able to free themselves from it through

المؤلف المرسل: زليخة ياحي، **الإيميل:** zoulikha.yahi@univ-alger2.dz

struggle and resistance, which was considered a resounding cry against the occupation. It worked to awaken the spirits to achieve freedom and independence. The literature of resistance served as a chronicler of all the events taking place, and Zulikha Al-Saudi's pen was among the voices that called for revolution and struggle, unity, recognition of the sacrifices of the freedom fighters and martyrs, optimism for freedom, and defiance of colonization. These points are considered among the key features of resistance in Zulikha Al-Saudi's literature, highlighting the importance of the theme of resistance literature. This study aims to explore it through two stories: "Al-Nihaya" and "Al-Yawm Al-Akhir" (The End and The Last Day).

Keywords: literature of resistance, Algerian story, means of resistance, Zulikha Al-Saudi, The End, The Last Day

1. مقدمة:

لقد جاء أدب المقاومة، وجمع شتات الآلام المتناثرة في قلوب الشّعوب المستعمرة، ولهذا ندّد أدباؤه بجرائم المحتلّ بأشكاله وكتبوا عن أوطانهم ومجّدوا مآثرهم، وحرّضوا النّاس على الكفاح والمقاومة فكان الذّود عن الأوطان واستنهاض الهمم لردع المعتدين، وكشف مساوئهم، وخسّتهم مقابل استبسال أهل الوطنيّة هو إطار جعل هذا الأدب يشقّ طريقه بين فروع الأدب الأخرى على استحياء، وكان للأديب فيه دور بارز لا يمكن تجاهله، وفي هذا السّياق يشير صلاح عبد الصّبور إلى فاعليّة الفنّ وأهله على غرار الأدب في معالجة كلّ القضايا الّتي لها علاقة بالوطن، وثوابت الهويّة؛ حيث يقول: " إنّ الفنّانين والفئران هم أكثر الكائنات استشعارا للخطر، ولكن الفئران حين تستشعر الخطر تعدو لتلقي بنفسها في البحر هربا من السّفينة الغارقة، أمّا الفنّانون فإنّهم يظلّون يقرعون الأجراس ويصرخون بملء الفم حتّى ينقذوا السّفينة أو يغرقوا معها"[1]، وهذا حال أدب المقاومة الّذي أخذ على عاتقه مهمّة الدّفاع عن الوطن، ونشر الوعي، وبثّ الحميّة في النّفوس.

ولأنّ الدّفاع عن الوطن، وبثّ الحميّة في النّفوس ضدّ المعتدين يعتبر من القضايا الّتي أوقدت جذوة أدب المقاومة، وجعلته يشقّ طريقه بين بقيّة فروع الأدب، رغم عدم وضوح الرّؤية فمرّة يتوهّج ألقا، ومرّة يخبو ويتوارى وفق مجريات ووقائع تفرض ذاتها بين الحين والآخر.

والحديث عن المقاومة يجعلنا نستحضر القضيّة الأمّ (القضيّة الفلسطينية)، والصّراع الدّائر رحاه منذ زمن بعيد بين العرب والصّهاينة، ولعلّ ارتباط هذا المصطلح له علاقة وثيقة بفلسطين وبالرّائد الأديب غسان كنفاني، وبالنّظر إلى الجغرافية الواسعة للبلاد

العربية يمكننا القول بأنّ أدب المقاومة انتشر، وشمل كلّ الأقطار العربية بحكم أنّه يعبّر عن الحروب والمعارك، ومقاومة العدو.

والجزائر كغيرها من الدّول العربية عانت كثيرا من نير الاستبداد، والاستعمار الفرنسي الغاشم، وعرفت بدورها مقاومة عظيمة دفعت فيها الغالي والنّفيس لتحقيق الاستقلال، وقد تبع ذلك موجة كتابية تماشت مع مختلف مراحل النّضال والكفاح المستميت ضدّ الاحتلال.

ومن بين الأقلام الّتي ظهرت في هذا الصّدد؛ قلم الأديبة زليخة السّعودي الّتي كتبت بدورها في هذا الموضوع في محاولة منها حثّ النّاس على الاستبسال والمقاومة، من أجل النّجاة ممّن يهيمن عليهم، ومقاومته، ومواجهته بكلّ الوسائل والطّرق، رغم وجود أقلام مبدعة أخرى اكتفت بالرّصد والإيحاء الفنّي.

لتساهم في تبيان ملامح المقاومة في أدب زليخة السّعودي، من خلال قراءة قصّتين في هذا السّياق، الأولى بعنوان النّهاية، والثّانية بعنوان: اليوم الأخير.

2. مفهوم أدب المقاومة

شهد الأدب العربي تحوّلات جذريّة في الآونة الأخيرة ألقت بضلالها في كلّ مناحي الحياة، وكان من بين تجليّاته ما يعرف بأدب المقاومة الّذي نبع من المجريات الحاصلة، والأوضاع المترديّة لمعظم الأقطار العربية؛ نتيجة مخلّفات الاستعمار، وميلاد هذا الأدب لم يتأت صدفة؛ لأنّ التّاريخ العربي كلّه " تاريخ ثورة، وكفاح وإخفاقات تكسر القلب، ومساع كابيّة، ومعاودة كفاح وثورة"[2]، والمؤكّد أنّ المقاومة لم ترتبط فقط بالوطن العربي وبالاحتلال، بل عرف الإنسان المقاومة " منذ القدم باستخدام الحجار، ولكنّه قد شعر بسقم هذه الآلات وعدم غناءها في مواجهة العدوان حينما أضيف على فهمه، ومعرفته على كرّ الدّهور المقاومة من المفاهيم والمعاني البارزة لأدب العالم، ولا تختصّ بشعب دون سواه، ولا نستطيع أن نضع حدودا زمنيّة لأدب المقاومة؛ لأنّ منذ بداية الخلق والمقاومة من ضروريّات الحياة البشريّة الاجتماعيّة دون أن يطلق عليها تسميّة أدب مقاومة، ونظرا لأهمّية تبويب العلوم المختلفة لا سيّما الأدب ودراستها دراسة دقيقة، وكذلك بسبب نوعيّة الصّراعات الشّعبيّة في العالم دخل مصطلح المقاومة مجال الدّراسات الأدبيّة"[3].

وما دامت الحرب تقع بفعل العدوان، والهيمنة فهي تواجه رغبة في تحقيق الحرّية، فلو وقعت الحرب وظهر العدوان، وتجسّدت الحريّة ستحدث ظاهرة تسمّى بالمقاومة، وكلّما

اشتدّت الحريّة واشتدّ العدوان تقوى المقاومة وتشتدّ، وما دام الأدب هو تعبير عن الأفراح والأحزان، وتصوير للأحلام والآلام، فهو في حدّ ذاته " نشاط إنساني يقاوم عوامل الضّعف، والخور الّتي تلمّ بالنّفس البشريّة في لحظات الانكسار فليس هناك عمل أدبي جاء في القديم والحديث يمكنه أن يخلو من هذه السّمة البارزة وهي المقاومة"[4].

وعليه فأدب المقاومة هو " الّذي يحثّ النّاس على الهرب والنّجاة ممّن يحاولون فرض السّيطرة عليهم بالإكراه، والجيّد منه لا يعنيه رسم سبيل النّجاة أو الهرب، بل يكتفي بالرّصد والإيحاء"[5]، ولتحديد مفهومه نلاحظ تضاربا في الآراء، وعدم اتّفاق على دلالاته، والمقصود به هو تلك الكتابة الأدبيّة المعبّرة عن الحروب والمعارك، ومقاومة العدوّ، ويعتبر مصطلح المقاومة هو الأكثر شموليّة من أدب الحرب، أو أدب المعارك نفسه[6].

كما أنّه يعتبر " أكثر رسوخا وتعبيرا عن تلك الحالة الخاصّة العامّة الّتي يعيشها الأفراد والجماعات والشّعوب في مواجهة الآخر المعتدي فهو لا يقتصر على تجربة الحرب وحدها، ولا التّعبير عن القهر والاستبداد فقط، إنّه الأدب المعبّر عن العمل من أجل تفجير الطّاقات الإيجابيّة الواجبة للمواجهة، إنّه الأدب المعبّر عن وجهة النّظر الإنسانيّة الشّموليّة وليست العنصريّة الضّيقة، كما أنّه الأدب الّذي يسعى دائما لتهيئة الأفراد والشّعوب والرّأي العام لفكرة المقاومة"[7] المرتبطة بجلّ مناحي الحياة الّتي يعيشها الإنسان.

والمقاومة في حدّ ذاتها تعني المواجهة من أجل الخلاص على غرار تحدّي الاستعمار برفضه، ومحاولة طرده؛ لأنّه " استعباد للمستعمر، وإنكار لشخصيّته وهويّته، وتاريخه وإهدار لكرامته وإنسانيّته"[8]، والأدب عندما عالج موضوع المقاومة كان يهدف إلى غايات ومقاصد سامية جعلته يبلغ أسمى المراتب.

ومنه فأدب المقاومة " من الآداب الإنسانية الّتي تجدها في كلّ أمّة من الأمم؛ نتيجة وقوعها تحت ظلم طويل خانق دفع بمشاعرها لرفض هذا الظّلم، والتّمرّد عليه"[9]، والذّود عن مقوّماتها وجودها وخصوصيّاتها حتّى لا تضمحلّ وتتلاشى في موجة العدوان، والغزو.

والأدب العربي " كان وما يزال من أبرز عناصر قوّة مقاومتها للاستعمار، والأدباء كانوا، وما يزالون من أخلص الجنود لأوطانهم في معارك التّحرير والانعتاق، وذلك عندا استجاب ويستجيب الأدب، والأديب لرسالته الّتي يفرضها عليه واقعه وظرفه التّاريخي فرضا"[10] فبهذا فقط يمكن القول بأنّ أدب المقاومة أدّى ولا يزال يؤدّي دورا فاعلا على مختلف الأصعدة.

ورغم كلّ ما قيل ويقال عن مفهومه نلاحظ اتّفاقا شاملا على اعتبار أدب المقاومة الأصيل هو الّذي يدعوا إلى النّضال، ويسعى إلى تحقيق القيم النّبيلة، والمحافظة على الثّوابت الوطنيّة، فكلّ ما كتب في القصّة والمسرح والرّواية والمقال والشّعر كان كلّه معبّرا عن قضايا الشّعب، ومقوّمات هويّته، ولذا يجب على الأديب المقاوم أن "يشحن الأمل إلى التّحرير في عروق الشّعب، ويحثّهم أن يدخلوا ميادين الصّراع"[11]وبهذا يلعب أدبه دورا رائدا في نشر اليقظة والنّهضة، وبثّ الحمية والحماس، وكلّما ذكر أدب المقاومة قرن بفلسطين فتشكّل الرّفض كعنوان بارز لأدب المقاومة في تلك الحقبة.

ومن خلال ذلك كلّه يمكن القول بأنّ أدب المقاومة هو " الأدب الّذي ينتج عن اختلاط المعاناة بمشاعر التّمرّد الّتي تموج في نفس الشّاعر، أو الأديب في مواجهة الاحتلال والظّلم، والاستبداد"[12] .

3. أدب المقاومة والقضّية الفلسطينية

ارتبط أدب المقاومة بالصّراع العربي الصّهيوني في فلسطين، وبدأ في التّداول والإشارة إلى مجموعة الأشعار الواردة من الأرض المحتلّة بفلسطين من محمود درويش، وسميح القاسم وتوفيق زيادة[13]، وفي هذا السّياق يقول محمود درويش: " نحن في الحاجة إلى درس الوطن الأوّل أن نقاوم بما نملك من عناد، وسخرية بما نملك من جنون"[14].

ويقول كذلك: " إنّنا نخوض المعركة إن لم نتسلّح تفاؤلا تاريخيا وبجواز تشدّ العضّة في معركة التّحدّي فكيف نمضي؟ إنّنا نعيش في المعركة لحظة تلو لحظة، وتكاد ألاّ تمضي دقيقة من عمرنا إلاّ ونحسّ أنّنا أمام التّحدّيات الكبرى المستمرّة، إنّنا عندما نكتب نتحدّى، وعندما نكون موجودين على أرضنا نتحدّى، وعندما نأكل من زادنا نتحدّى؛ لأنّنا نقادم ترجمة الوطن كلّه إلى العربية لغة، وإلى الصّهيونية أرضا وتقاليدا وزادا"[15]، فمن خلال ما قاله ابن القضية نلاحظ مدى مقاومة الفلسطينيين للكيان الصّهيوني، ومدى تشبّثهم بأرضهم ووطنهم.

ولعلّ أبرز من أشاع هذا المصطلح وأظهره إلى العلن غسان كنفاني؛ حيث أصدر كتابين درس فيهما الأدب العربي في فلسطين عنون أوّلهما: أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة 1948- 1966، وعنون ثانيهما: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948- 1968، وأشار كنفاني في مقدّمة الأوّل إلى افتقار دراسته إلى وفرة المصادر، وإلى السبب الّذي حثّه على دراسة أدب المقاومة، مع أنّ التحريم لم يتمّ، إلى أنّه أراد أن يطلع النّازح الفلسطيني

خصوصا والقارئ العربي عموما على هذا الأدب الّذي يتناول النّازح بالذّات، ويخاطب فيه ما يخاطبه في عرب الأرض المحتلّة، ورأى أنّ هذا الأدب ظلّ مجهولا بالرّغم من أنّه يشكّل الجانب الأكثر إشراقا في كفاح الشّعب المغلوب على أمره[16].

4. مميّزات أدب المقاومة

إذا كانت المقاومة تحثّ على النّهوض والثّورة فإنّ أدب المقاومة جعل الناس يتعلّقون به، وجعلت الأدباء "يتوقون إلى هذا النّمط الّذي يؤكّد التزامهم الثّابت بقضايا مجتمعاتهم، وهمومها وطنيا وقوميا وإنسانيا، وإنّ الأدب المقاوم رغم تركيزه على القضية الفلسطينية المعاصرة يحمل في ذاته ملامح العام والخاص، فضلا عن أنّ طبيعته تتألق بروح الجذب والإثارة، ويتّصف مضمونه بالثّورة والتّمرّد على أشكال القهر والظّلم والاستبداد، والاحتلال"[17]ومنه يمكن أن نلاحظ أنّ أدب المقاومة هو " أدب الوعي والحثّ على تجاوز الأزمات والحروب والقهر، ويسعى لاستنهاض الهمم للجهاد والوعي بالذّات والهويّة، ويتناول موضوعات الصّمود في مواجهة العدوان، والظّلم والاحتلال وعدم الخضوع أمام العدو المحتلّ"[18].

5. وسائل أدب المقاومة

اعتبرت المقاومة " ردّة فعل ذاتية إزاء القوى الخارجية، وإحدى وسائل الحياة في الدّفاع عن النّفس، وتحدث المقاومة عندما يغلب شعب شعبا آخر بالقسوة، وبطبيعة الحال يرفض الجانب الآخر المذلّة والعار، ويدافع عن نفسه وماله"[19] بكلّ الوسائل والطّرق، فكما أنّ للمقاوم أسلحته من بندقية وقنبلة وصاروخ وعدة وعتاد وقوة، وإيمان وعمل فللأديب وسائله المتمثّلة في الكلمة الّتي هي في حدّ ذاتها ساحة مقاتل مع اختلاف العتاد، ولذلك " الثّقافة الّتي تصان بالالتزام والثّبات والمقاومة، وبوحدة الفاعلين فيها لا يمكن إلاّ وأن تؤسّس لفجر سياسي ينبع من وهج صدقها، ومن عرين بأسها، ومن مستودع حكمتها الّتي لا تعرف الخواء والزّيف، والارتهان وعند هذا الحدّ تكون مفاعيلها عميقة في دماء، وعقول ووجدان أهلها"[20].

وانطلاقا من ذلك تختلف أساليب ووسائل الأدباء في المقاومة " فمنهم من يتّخذ القصّة أو الرّواية أداة للدّعوة إلى المقاومة، ومنهم من يتّخذ الشّعر وسيلة للحثّ على الدّفاع، ولمّا كان الشّعر أكثر انتشارا وتأثيرا في إثارة الهمم نلاحظ أنّه قد شغل حيّزا كبيرا في موسوعة أدب المقاومة"[21]، وبهذا يتجلّى لنا تنوّع الوسائل الّتي اتّخذها الأدباء للنّضال والكفاح.

6. أهداف أدب المقاومة

كان الأدب ولا يزال منذ القديم سلاحا للتغيير، ويهدف أدب المقاومة المتميّز " بالحب والأمل إلى الوصول للحرية والعدالة"[22]، ومن جملة الأهداف الّتي يرتكز عليها نذكر:

❖ التركيز على الظّروف الصّعبة الّتي يعيشها النّاس، ومقارنتها بغيرهم.

❖ يقوي أدب المقاومة دعوته بحثّ النّاس على العمل، ووصف النّتائج المتوقّعة بالاستشهاد بالتّجارب والنّماذج النّاجحة.

❖ واجبه تغيير الحالات الذّهنية والمشاعر دون الوصية بإجراء عمل معيّن بذاته يكفي أن يكون المرء على أهبة الاستعداد باليقظة.

❖ وصف كلّ سيطرة على أنّها خطر؛ بهدف تحديد وتحليل أنواع تلك السّيطرة الّتي يتعرّض لها الفرد، الجماعة، الدّولة ثمّ التّمهيد للتّخلّص من تلك السّيطرة[23].

والهدف الأسمى للمقاومة إن " استمرّت وتجذّرت سرى نسغ الحياة في دوحة الأمّة في جذعها، وأغصانها فأورقت وتألّقت بعد ذبول، فإمّا حرّية وانعتاق من نير الاستعباد، وإمّا حياة ماجدة جديرة بأن تحيا حياة نضال، وكفاح في سبيل الوطن، أو موت شريف وشهادة"[24]، فهذه هي الغاية العظمى الّتي يسعى أدب المقاومة إلى تحقيقها ويرتجي بلوغها.

7. أدب المقاومة في الجزائر

ارتبط كما قلنا سابقا مصطلح أدب المقاومة بفلسطين ارتباطا وثيقا، والجزائر كغيرها من الأقطار العربية عرفت بدورها هذا النّوع من الكتابة، فهي كغيرها من الدّول تعرّضت للاحتلال الفرنسي الّذي جاء " ليسلب أفكار الشّعب، ويزوّر تاريخه، ويحطّم كيانه، ويستغلّ ثروته"[25]، وعلى الرّغم من كلّ هذه المحاولات الّتي هدفت إلى المسخ الكلي لمعالم الهويّة الجزائرية إلاّ أنّها بقيت ثابتة؛ نتيجة محافظة الجزائريين عليها، فرغم أنّ المهمّة الاولى للمستعمر "هي أن يقضي على الشّخصية العربية، وقد استنفد الاستعمار جهدا كبيرا طوال عشرات السّنين في محاولة القيام بهذه المهمّة على نحو ثابت ومتّصل"[26] كان الجزائريون له بالمرصاد؛ حيث ظلّت الهويّة ومعالم القومية العربية الإسلامية موجودة ومستمرّة.

أمّا اشتغال الأدباء الجزائريين بهذا الموضوع فجلي في كتاباتهم؛ حيث أصبح من أبرز الموضوعات الّتي " تدور حوله أعمالهم هو حرب التّحرير، ومقاومة المستعمر، رفضا للاستغلال والتّسلّط"[27]، وبذلك ظهرت موجة كتابية مقاوماتية جزائرية بعد الحرب العالمية الثانية فتحت الباب على مصراعيه لتكسر القيود، وتتحرّر الأقلام فصار الأدب كلّه مقاومة

للمحتلّ، ومع مرور الوقت أدرك الأدب الجزائري " قيمة البعد الإنساني في العمل الفنّي أثناء المقاومة بالتّحديد فشد تصوير الحياة الثّائرة في الجزائر، وما يحيطها من أحداث ومستويات اجتماعية، وتغنّى بغد أفضل تسوده الحرّية، ويتاح فيه للإنسانية أن تنفتح على أعمق ما فيها من خير ومحبّة"[28].

والمؤكّد أنّ أدب المقاومة الجزائري " لم يكن في ركاب حركة المقاومة الجزائرية السّلمية، ولم يكن مواكبا لها فحسب، وإنّما كان دافعا لها إلى الأمام، هاديا لها لتصل إلى نتيجتها الحتمية وهي الثّورة"[29]الّتي اندلعت شرارتها لتقول للعالم بأنّ الجزائريين مستيقظون ويدركون جيّدا ما يجب عليهم فعله.

ولعلّ القصّة واحدة من الأجناس الأدبية البارزة في أدب المقاومة حيث شهدت إقبالا منقطع النّظير، وتطوّرا في الأدب الجزائري عملت فيه على توضيح الحقائق، ونقل الوقائع، وتبيان معالم الطّريق الواضحة، " ومن هنا كانت القصّة الجزائرية في هذه الفترة التّاريخية تصوّر شكلا خاصّا نجده لدى قصص المقاومة بشكل عام في العالم، فهي في غالب الأحيان أنموذج للقصّة الثّورية والشّعرية في حوارها، كما أنّها قصّة الحب والحياة فهي تساؤل الإنسان عن مصيره فحسب، ولكنّها تعبير عن مدى انفجاره وتمزّقه، وثورته، إنّها قصّة المسيرة الّتي تعانيها شعوب تركت تحت وطأة الجهل، وهي الّتي تملك كلّ ثورات التّقاليد الفكرية، وتعمل على اقتلاع جذور الاستعمار"[30]. والتّخلّص منه إلى الأبد.

وما يمكن أن يلاحظ عموما هو أنّ القصة في الأدب الجزائري استطاعت أن تواجه الاستعمار " وتضع في قوالب سياسية، ونفسية اجتماعية المحتوى الجديد لإنتاجها الأدبي من حيث الصّورة الكاملة"[31]، ومع مرور الوقت توحّد أدباء المقاومة مع شعبهم؛ بحيث " أصبحوا جزءا رئيسيا في جبهة القتال، وأصبحت موضوعات قصصهم كما قال مالك حدّد غير موجودة في الكتب بالنّسبة لهم، ولكن موضوع قصصهم مستوحى من مليون من القتلى الجزائريين يقفون أمام محكمة الإنسانية الكبرى ليشهدوا، وليدينوا أنّ مليونا من الجزائريين الشّهداء يتحدّثون عن الحريّة"[32] الّتي تعتبر من أسمى غايات أدب المقاومة في جميع الأقطار العالمية.

8. نبذة عن حياة الأديبة زليخة السّعودي

لقد عمد الكاتب شريبط أحمد شريبط على جمع كلّ مؤلّفات هذه الأديبة، ونشرها في الآثار الكاملة، وعنها قال عز الدّين ميهوبي: "استطاعت في عمرها القصير أن تحدث ضجّة كبيرة في الوسط الأدبي آنذاك فقد كتبت في كلّ الفنون، وأثارت قضايا يراها المحدثون من

النّقاد شيئا جديدا آخذا بالسّياق التّاريخي والزّمني، فلو أمدّ الله في عمرها كانت ستتفوّق على مبدعي جيلها، لما اتّسمت به من إرادة كبيرة، وحبّ لا حدود له للكتابة فقد وزّعت اهتمامها بين المقالة، والشّعر، والقصّة، والنّقد والمسرح، والمراسلات، وكانت تحمل أفكارا رؤيوية مدهشة؛ حيث طرحت مسائل سابقة لأوانها، وناقشت قضايا لم تكن مألوفة حينها"[33]، وهذا الاعتراف وحده يقود إلى القول بأنّها أضاءت من خلال كتاباتها الأدب النّسوي الجزائري.

وقد ولدت عائشة السّعودي الملقّبة بزليخة يوم: 1943/12/20، بمنطقة مقادة بولاية خنشلة، عاشت طفولتها هناك، لم تتجاوز تجربتها الإبداعية 14 سنة؛ حيث بدأت الكتابة حدود سنة 1958، وتوفيت سنة 1972، ولاقت في هذه الفترة الوجيزة المساندة من بعض أهلها، وكانت تراسل شيخ الرّوائيين الطّاهر وطّار، والشّاعر محمد الأخضر السّائحي، ورغم كلّ العراقيل اقتحمت مجال الكتابة الأدبية، وخلّفت آثارا جمّة.

قالت عنها زهور ونيسي: "مبدعة كاتبة متحكّمة في اللّغة الشّاعرية ذات نظرة تأمّلية، شفّافة وشاملة للقضايا من حولها"[34]، فهذه شهادة تؤكّد امتلاكها لموهبة الكتابة والإبداع، وتضيف جميلة زنير قائلة: "فأيّ أبواب طرقتها هذه المرأة الرّهيفة، وأيّ بوّابات شرّعت لها، وهي تتطوّر وتتجدّد في كتاباتها كلّما انتقلت من موقع إلى موقع بخطوات على الثّلج عكس كاتبات أخريات جايلنها، أو جئن بعدها، ولكنّهن سرعان ما رفعن رايات الاستسلام لتركهنّ إلى الخلف يتأمّلن المشهد الآفل بعيون الألم، والحسرة مثل الحمامات المهاجرة"[35]، فهي رغم كلّ ما صادفته أصرّت على حمل القلم، وخوض غمار الكتابة والنّشر كذلك.

9. ملامح المقاومة في أدب زليخة السّعودي

لقد تبلورت مظاهر واضحة المعالم من أدب المقاومة في قصص زليخة السّعودي، كما أنّها تموج بالعبارات الّتي تنقل المعاناة، ونتائج المأساة الأليمة بكلّ أبعادها فهذه المأساة لم تكن وليدة الصّدف على الإطلاق، بل تأتّت من عوامل وأسباب كثيرة، وللوقوف على ملامح المقاومة في نتاج هذه المبدعة ارتأينا تسليط الضّوء على قصّتين هما النّهاية، واليوم الأخير.

وتتمحور قصّة النّهاية حول شخصية تدعى محمد، وهو أخ للكاتبة أظهرت مدى تعلّقها به رغم غيابه المستمرّ والدّائم، وفيها تبدو ملامح المقاومة ضدّ المحتلّ الغاشم، والكفاح ضدّه من أجل استرداد الحرية، ومن تجلّيات ذلك الفرح بالحرية " عودته القصيرة

مرّت كحلم عذب ساحر الجمال، عاد فيها كلّ إلى مرحه، إلى طفولته الأولى، تلك الأيّام عاشوا حقّا أفراح الحرية"[36]؛ حيث يتبدّى مدى نشوة الجزائري بتحقيق النّصر ضدّ المحتلّ، رغم الألم والقهر الّذي عاشته شخصية محمد.

ومن ملامح المقاومة كذلك التّشبّث بالأرض والوطن " كانت أمّه تلحظ ضعفه في ذعر، وتقول: لقد امتصّك النّضال نهائيا فأصبحت شبحا، فترتسم على ملامحه النّبيلة علامات الألم ويجيبها: لا تعيدي مثل هذا القول يا أمّاه هل إخواني الّين ماتوا في سبيل الثّورة كانوا يفكّرون في أنفسهم، وفي أرواحهم وفي صحّتهم، إنّ تضحيتي بصحّتي ليست بشيء أمام الجزائر، وأمام الشّهداء، والله لو استشهدت أنا الآخر ما كنت أقلّ ممّا أنا عليه من الرّاحة والسّعادة الرّوحية، لا تعيدي على مسمعي مثل هذا القول"[37].

ويتجلّى هنا مدى التّضحية الّتي قدّمتها شخصية محمد في سبيل النّضال من أجل الوطن، بالّضافة إلى تمجيد الشّهداء، والإقرار بمكانتهم الرّفيعة، وإيثار الرّفاق على النّفس " يجيبها باسما منذ ثماني سنوات نفسي نسيتها يوم وهبتها للثّورة إنّي أراها دائما في نفوس رفاقي جميعا، وهي لا شكّ طيّبة"[38]، نعم كلّ هذا يؤكّد تمجيد الجزائريين للكفاح والثّورة ضدّ المحتلّ، والتّضحية بالغالي والنّفيس من أجل طرده، وتحقيق البناء الشّامل في كلّ مناحي الحياة.

ويبرز بالإضافة إلى ما سبق تصوير جميل لصعوبة النّضال وقسوته " وتحدّثه هي لتزيل غضبه ماذا يمكن أن يقنعها لا شيء، ويحدّثها عن الآخرين عن رفاقه الّين ضحّوا بمستقبلهم، وصحّتهم، عن الّذين ماتوا في سبيل أن يخيا هذا الوطن، معظم رفاقه التحقوا بالرّفيق الأعلى تاركين وراءهم آثارهم تدلّ عليهم لا تضيع ولا تزول"[39]؛ إنّها البصمة الخالدة والأثر الطّيب للشّهيد الّذي حتّى وإن غادر الدّنيا إلاّ أنّ روحه لا تزال تحيا في العقول والقلوب.

لتعمّق الكاتبة الإحساس بالوطنيّة، والتّشبّث بالأرض على لسان محمد " ما باله اليوم يقول: لقد نسيت كلّ شيء، تركت كلّ شيء، لقد ناضلت في حدودي وأدّيت واجبي، وسأناضل من جديد؛ فالجزائر في حاجة إلى كلّ بنيها المخلصين لتشيد صرح السّلام، والمستويات الفاضلة لأبناء الجيل، والأجيال المقبلة"[40].

وتختم القصّة بفرح الكاتبة بأخيها، وإظهار مدى تعلّقها به، فهي تتمنّى لقاءه ورؤيته لتقرأ على مسامعه الشّعر، ولكن كانت النّهاية حزينة ومأساوية " محمد يا وجودنا الّذي انهار، يا شقيقي يا حبّنا المشرق الكبير، كيف ذهبت فجأة، كيف هنت عليهم فقتلوك"[41]،

وعلى الرّغم من تراجيدية النّهاية إلاّ أنّ الأديبة برعت في نسج حكاية أظهرت من خلالها مدى تشبّث الجزائري بوطنه، وكفاحه بغية رؤية شمس الحرّية تلوح في أفقه وسمائه، بالإضافة إلى مكانة الشّهيد المرموقة في النّفوس والقلوب، وكراهية العدو المحتلّ، واستشراف الغد الأفضل على الدّوام.

أمّا قصّة اليوم الأخير، وملامح المقاومة فيها فتبدو من خلال شخصية فطوم الّتي عانت كثيرا في حياتها العقيمة بتعبير زليخة السّعودي، زوج أبيها، حماتها، وزوجها المتعب، وابنتها الخرساء، تنعرج الأحداث لتنقل صورة حيّة عن النّضال والمقاومة في جزء من الجزائر الشّاسعة؛ حيث قصدت فطوم الوادي لتجلب الماء، وتمنّت أن تعيش وتتنفّس الحرّية " يا الله ما أروع المنظر السّاحر منذ بداية الثّورة وهي تقول في صلواتها: يا رب اتركنا يوما واحدا نرى فيه الحرّية ثمّ اقتلنا بعد ذلك، ما قيمة كلّ حياتهم لو ماتوا دون نسمة حيّة حقّا"[42].وهنا يتجلّى ملمح من ملامح أدب المقاومة والمتمثّل في الرّغبة في تحقيق الحرّية، والأمل في إشراقة جديدة تذهب الهمّ، والغمّ الّذي تسبّب فيه الاستعمار.

كما تظهر القصّة تكريم الكاتبة للمجاهدين " وهزّتها جارتها: جئت متأخّرة يا فطوم منذ لحظة رأينا المجاهدين سلّموا علينا، وشكرونا ثمّ ذهبوا إلى مهامهم، لولاها ما أسرعوا في تركنا، وشعرت أنّها فوّتت حقّا فرصة العمر لكن ستراهم بعد الآن مرّات ومرّات"[43].

وأشارت الأديبة زليخة السّعودي إلى الكبت الّذي عاشه الجزائريّون نتيجة الاستعمار الجاثم على صدورهم " أمّا النّساء فقد انطلقن ينتقمن من كبت كلّ السّنوات الطّويلة، كان هناك خطيب يلقي كلمات، لكن أحدا لم يسمعه، لكن فرحة الشّعب أقوى من أن تتقيّد في كلمات"[44]، فكلّما سنحت لهم الفرصة اقتنصوها، وعاشوا وتعايشوا معها ببهجة وغبطة سلبت منهم.

بل إنّ أملهم بالمستقبل المشرق، واليوم الأغرّ شملت الجميع حتّى الأطفال " بينما كان الأطفال الّذين لم يتعلّموا أي نشيد بعد يسيرون على وحي كلمات لم يعلّمها لهم أحد، لكنّهم يعرفونها ويحبّونها، تعيش يا بن بلّة والجزائر مستقلّة، وأعجب النّساء أن يخترع أطفالهم هذا الهتاف الرّائع، فهتفن معهم، وصفقنا حتّى دميت أكفّهنّ الّتي خشنتها المغزل والمنسج، لقد علقن جميعا مناسجهنّ هذا اليوم"[45] ليفرحن مع البقية، ويشهدن أوقاتا تذهب النّكد، والتّوتر الّذي عاشوه في ما مضى.

ولعلّ أبرز مظهر من مظاهر المقاومة في قصّة اليوم الأخير ذاك الّذي صوّر هجوم المحتلّ على القرية، وأهلها، وعدم تأثّرهم بدورهم بقوّته وجبروته، رغم كثرة الآلام والقتلى والجرحى، بل على العكس أظهروا جلدا، وجرأة، ومقاومة عنيفة، ودفاعا مستميتا من أجل الوطن، وكذلك وصف لمدى كراهية الأهالي للاستعمار الغاشم، " وعلى حين غرّة تعالى في الجوّ أزيز الطّائرات، واهتزّت الأرض تحت ثقل الدّبابات، والسّيارات العسكرية، وقبل أن يفيق الجمع من هول الدّهشة الّتي حلّت بهم، نزل أمامهم ضابط الحركة وجنوده الأوغاد، العيون الّتي مسخت والأوجه الّتي طمست معالمها، فأصبحت ككلاب الجندرمة المتوحّشة"[46].

ليتجلّى ملمح آخر من ملامح المقاومة، والمتمثّل في التّشبّث اللاّمتناهي بمعالم الهويّة على رأسها الأعلام الّتي حاول الضّابط أخذها بالقوّة " صاح الضّابط: هاتوا الأعلام ولن يمسّكم أذى، وقال الرّجال: سيأخذها منّا ليقول لقادته لقد انتزعتها من الفلاقة، لن نسلّمها مهما يكن الثّمن"[47] حتّى ولو كان التّضحية بأغلى شيء وهو النّفس في سبيل الله والوطن.

وهنا يحتدم الصّراع عندما يخرج سي براهيم من بين الصّفوف ليخاطب الضّابط، "وقبل أن يتمّ كلماته كانت الكلاب تنهش قدميه نهشا، بينما نزلت السّياط على ظهره، وجنت النّساء هلعا، فأرسلن حجارتهنّ إلى الضّابط وفرقته، واشتبك الجميع في معركة بالحصى والحجارة"[48]، لتزداد حدّة المعركة، ويشارك الرّجال والنّساء والأطفال فيها " وصاحت عجوز يأبى نضال سبع سنوات أن نسلّمكم علمنا تدنّسوه بأيديكم الملوّثة كلّنا نموت فداه"[49]، بهذا يبدو بوضوح تامّ تعلّق الأهالي بالثّوابت من أجل الحفاظ عليها.

لتشتعل المعركة أكثر فأكثر " كانت دماءهنّ تسيل في شبه مخطّط طويل مستقيم، آه لو أنّ في أيديهم بنادق إذن لأداقوهم الويل، واستمرّ الرّصاص في تكلّمه الأهوج المجرم"[50]، وقد خلّف قتلى وجرحى لتنتهي القصّة باستشهاد فاطمة " ولمّا عاد الأهل إلى السّهل المخضّب كانت فاطمة تحتضر، وعلى شفتيها ابتسامة مضيئة، لقد حقّق الله رجاءها فشهدت يوما واحدا من يوم الحرّية وماتت"[51]، وبذلك رسمت الأديبة زليخة السّعودي صورة ناصعة للشّهيدة فاطمة، وختمت القصّة بالدّعوة إلى الكفاح، ومواصلة المقاومة، " حطّموا الأغلال وامضوا للكفاح، حطّموا واهتفوا ملء الأثير يا فرنسا اشهدي اليوم الأخير"[52].

10. خاتمة:

اعتبر أدب المقاومة شامة ساطعة في تاريخ الأدب العربي، وذلك لكونه عالج واحدا من الموضوعات الّتي أرّخت وأثبتت شجاعة المجاهدين، وصبر المرابطين، وقناعة الشهداء

بقضيّتهم، والجزائر على غرار بقية الاقطار عرفت بدورها هذا اللّون من الكتابة الأدبية، وما الأديبة زليخة السّعودي إلاّ واحدة من ثلّة لا بأس بها خاضت غمار التجربة الإبداعية المقاوماتية، وقد خرجنا من خلال قراءة في قصتين من أدبها ببعض ملامح المقاومة في كتابتها نذكر منها:

- ❖ الأمل بالغد المشرق، وتنفّس عبق الحريّة
- ❖ إظهار مدى معاناة الجزائريين
- ❖ تكريم المجاهدين، والشّهداء.
- ❖ بروز العاطفة الجيّاشة.
- ❖ كراهية ومقت العدو ووصف ببعض النعوت.
- ❖ الارتباط الوثيق والتشبّث العميق بالأرض.
- ❖ التّضحية بالغالي والنّفيس من أجل الوطن.

مراجع البحث وإحالاته:

1 مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع:17، 2012، ص:19.

2 سلمى خضراء الجيّوسي، الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، 2001، ص: 16.

3 كوراي علي، مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم، مجلة الباحث، مارس 2019، ص: 37، 38.

4 عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص: 26.

5 صالح أبو إصبع، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، منشورات جامعة فيلاديلفيا، مطبعة الخط العربي، ط2، 2005، ص:64.

6 أدب المقاومة، http://www.albayan.ae

7 كوراي علي، مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم، مرجع سابق، ص: 37، 38.

8 مصطفى حمّودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 19.

9 علي كوراي، مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم، مرجع سابق، ص: 37، 38.

10 مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 19.

11 إبراهيم فؤاد عباس، أدب المقاومة الفلسطينية، الجذور والسّمات والتّطوّرات، http:// www.al.madina.com

12 علي خضر وآخرون، ملامح المقاومة في شعر عبد الرحيم محمود، آفاق الحضارة الإسلامية، س18، ع02، 1437،1436.

13 صالح ابو إصبع، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، مرجع سابق، ص: 64.

14 حسن مجيدي، فرشته جون نثارى، الخصائص الفنّية لمضامين شعر محمود درويش، إضاءات نقدية، س1، ع:04، 2011، ص: 55.

15 حسن مجيدي، فرشته جون نثارى، الخصائص الفنّية لمضامين شعر محمود درويش، مرجع سابق، ص:54.

16 ينظر غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، 1966/1948، دراسة، منشورات الرّمال، قبرص، ط1، 2013.

17 علي خضري، مظاهر أدب المقاومة في شعر الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، مجلة اللغة العربية وآدابها، م7، ع1، 2019، ص89.

18 علي كوراي، مظاهر أدب المقاومة ، مرجع سابق، ص: 32.

19 المرجع نفسه، ص: 32.

20 مروان الخطيب، الشعر المقاوم شرفه أن يقضّ مضاجع الخصم ويبني، مجلة بلسم، لبنان، ع 351، 2004، ص: 91.

21 علي كوراي، مظاهر أدب المقاومة، مرجع سابق، ص: 32.

22 المرجع نفسه، ص: 33.

23 المرجع السابق، ص: 33، 34.

24 مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 19.

25 أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص:22.

26 عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص:34.

27 المرجع نفسه، ص: 63.

28 المرجع نفسه، ص: 69.

29 مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 19.

30 عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص:84.

31 المرجع نفسه، ص: 85.

32 المرجع نفسه، ص: 86.

33 من كتاب الآثار الكاملة للأديبة زليخة السعودي، 1943/ 1972، جمع وتحقيقن شريبط أحمدشريبط، الصندوق الوطني لترقية الفنون والأدب الجزائري، ط1، 2001، ص: 13، 14.

34 المرجع نفسه، ص: 20.

35 المرجع نفسه، ص: 21، 22.

36 المرجع نفسه، ص: 111.

37 المرجع نفسه، ص: 111.

38 المرجع نفسه، ص: 111.

39 المرجع نفسه، ص: 111.

40 المرجع نفسه، ص: 112.

41 المرجع نفسه، ص: 113.

42 المرجع نفسه، ص: 115.

43 المرجع نفسه، ص: 115، 116.

44 المرجع نفسه، ص: 116.

45 المرجع نفسه، ص: 116.

46 المرجع نفسه، ص: 116.

47 المرجع نفسه، ص: 116.

48 المرجع نفسه، ص: 117.

49 المرجع نفسه، ص: 117.

50 المرجع نفسه، ص: 117.

51 المرجع نفسه، ص: 117.

52 المرجع نفسه، ص: 117.

قائمة المراجع :

1- مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكريا، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات (العدد 17)، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

2- سلمى خضراء الجيّوسي، الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربي الحديث، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطبعة1، 2001.

3- كوراي علي، مظاهر أدب المقاومة في ديوان نبوءات الجائعين لأيمن العتوم، مجلة الباحث، مارس 2019.

4- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

5- صالح أبو إصبع، ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، منشورات جامعة فيلاديلفيا، مطبعة الخط العربي، الطبعة 02، 2005.

6- إبراهيم فؤاد عباس، أدب المقاومة الفلسطينية، الجذور والسّمات والتّطوّرات، http:// www.al.madina.com

7- علي خضر وآخرون، ملامح المقاومة في شعر عبد الرحيم محمود، آفاق الحضارة الإسلامية، مجلد 18 (العدد 02)، 1436،1437هـ.

8- حسن مجيدي، فرشته جون نثارى، الخصائص الفنّية لمضامين شعر محمود درويش، إضاءات نقدية، مجلد 01 (العدد 04)، 2011.

9- غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، 1966/1948، دراسة، منشورات الرّمال، قبرص، الطبعة 01، 2013.

10- علي خضري، مظاهر أدب المقاومة في شعر الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، مجلة اللغة العربية وآدابها، مجلد 07 (العدد 01)، 2019.

11- مروان الخطيب، الشعر المقاوم شرفه أن يقضّ مضاجع الخصم ويبني، مجلة بلسم، لبنان، عدد 351، 2004.

12- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، الطبعة 05، 2007.

13- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، الطبعة 01، 1991.

14- كتاب الآثار الكاملة للأديبة زليخة السعودي، 1943/ 1972، جمع وتحقيقن شريبط أحمد شريبط، الصندوق الوطني لترقية الفنون والأدب الجزائري، ط1، 2001.

15- أدب المقاومة، http://www.albayan.ae